موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

قناة سوريا الاولى

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الاولى - حديث الجمعة الديني - الحلقة1 : تفسير قوله تعالى والليل إذا يغشى.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-04-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس في نص القرآن الكريم زمرتان لا ثالث لهما :

أيها الأخوة ، الله عز وجل يقول في كتابه العزيز:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

[سورة الليل الآيات :1-4]

الآن هناك آية تبين أن الناس على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، وتياراتهم كل هؤلاء الناس في نص القرآن الكريم زمرتان لا ثالث لهما.

1 - رجل عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة :

أما الزمرة الأولى:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

صدق بالحسنى، الحسنى هي الجنة، قال تعالى:

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

[سورة يونس الآية : 26]

الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، فالذي آمن بالحسنى آمن أنه مخلوق للجنة، آمن أنه مخلوق لسعادة أبدية، آمن أنه مخلوق لجنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الإنسان هو المخلوق الأول و المكرم و المكلف :

الإنسان حينما يؤمن بالله يؤمن أيضاً أنه مخلوق للجنة، وأن الإنسان هو المخلوق الأول، والمكرم، والمكلف:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

[سورة الأحزاب الآية :72]

ويؤمن أيضاً أنه المخلوق المكرم:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

[سورة الإسراء الآية : 70]

ويؤمن أيضاً أنه المخلوق المكلف:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات الآية : 56]

المؤمن مستقيم على أمر الله :

الإنسان بنص هذه الآية:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

صدق وآمن وأيقن أنه مخلوق للجنة، مخلوق لسعادة الأبد، مخلوق لجنة:

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا)

[سورة ق الآية : 35]

مخلوق لجنة لا نصب فيها ولا تعب، ولكن هذه الآية لها ثمن، ثمنها في الدنيا، لذلك:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

لأنه مخلوق للجنة، ولأنه آمن بالجنة، ولأنه يسعى إلى الجنة، اتقى أن يعصي الله، فالمؤمن مستقيم على أمر الله، ولو ألغينا من الدين الاستقامة لأصبح ثقافة، وتراثاً، وفلكلوراً، لا شيء غير ذلك.

الدين منهج حياة كاملة :

لكن الدين منهج حياة كاملة، يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

اتقى أن يعصي الله، المؤمن يتحرك وفق منهج الله ، بحياته شيء فرض، فرض لسلامته وسعادته، وهناك واجب، و سنة مؤكدة، و سنة غير مؤكدة، و مستحب، و مباح، ومكروه كراهة تنزيهية وكراهة تحريمية، وهناك حرام، المؤمن يتحرك وفق منظومة قيم، المؤمن يتحرك في حياته الدنيا وفق منهج، وفق اعمل ولا تعمل، افعل ولا تفعل، وفق تعليمات الصانع، لأن المؤمن آلة بالغة التعقيد، الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة صانع حكيم، ولهذا الصانع تعليمات التشغيل والصيانة، إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي.

من آمن بالآخرة يتحرك وفق منهج الله عز وجل :

إذاً:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

صدق بالحسنى فاتقى أن يعصي الله، تحرك وفق ضوابط الشرع، تحرك وفق منهج الله، تحرك بدافع من حاجته للطعام والشراب، ومن حاجته إلى الطرف الآخر ، ومن حاجته إلى تأكيد الذات، تحرك وفق منهج الله، بل هو تعليمات الصانع، والإنسان أعقد آلة في الكون وله صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، إذاً:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

صدق أنه مخلوق للجنة فاتقى أن يعصي الله، الآن ندقق، بنى حياته على العطاء، يسعده أن يعطي لا أن يأخذ، الذي آمن بالدنيا يسعده أن يأخذ، الذي آمن بالدنيا قد يبني مجده على أنقاض الآخرين، الذي آمن بالدنيا قد يستغل حاجتهم إليه، قد يبني غناه على فقرهم، قد يبني أمنه على خوفهم، قد يبني حياته على موتهم، قد يبني مجده على إتلافهم، قد يبني ثقافته على محو ثقافتهم، هذا الذي آمن بالدنيا، أما الذي آمن بالآخرة يتحرك وفق منهج الله، وفق الضوابط الشرعية، وفق افعل ولا تفعل، وفق تعليمات الصانع:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

اتقى أن يعصي الله، بنى حياته على العطاء، المؤمن معطاء، يعطي من علمه، يعطي من ماله، يعطي من وقته، يعطي من خبرته، يعطي من عضلاته، يعطي من كل شيء يملكه:

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

[سورة البقرة الآيات : 1-3]

من آمن بالله سلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

هؤلاء الزمرة الأولى الذين آمنوا، والذين انضبطوا وفق منهج الله، والذين أحسنوا إلى خلق الله، هؤلاء سلموا وسعدوا في الدنيا والآخرة:

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآيات :5-6]

الرد الإلهي:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

[سورة الليل الآية :7]

أي سنيسره لما خلق له، خلق لسعادة الدارين:

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

[سورة الرحمن الآية : 46]

قال علماء التفسير: جنة في الدنيا وجنة في الآخرة.

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

[سورة فصلت الآيات : 30-32]

هؤلاء الفريق الأول.

التقسيمات الأرضية باطلة ما أنزل الله بها من سلطان :

البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، كل هذه التقسيمات الأرضية؛ دول الشمال، ودول الجنوب، والعرق الآري، والأنكلوسكسوني، والسامي، والبيض، والملونون، كل هذه التقسيمات ما أقرها القرآن الكريم، كل هذه التقسيمات لم يعبأ بها كتاب الله، القرآن

الكريم يؤكد أن البشر نموذجان؛ نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة، والرد الإلهي في القرآن الكريم:

(فَأَمَّا مَن أعْطى وَاتَّقى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

لذلك :

(أفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

[سورة السجدة الآية : 18]

لا يحزن قارئ القرآن وهو يقرأ قوله تعالى :

(أفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

[سورة القلم الآيات : 35-36]

(أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

[سورة القصص الآية : 61]

(أمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

[سورة الجاثية الآية : 21]

2 ـ و رجل غفل عن الله فتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فهلك في الدنيا والآخرة :

أما الفريق الثاني، أما الزمرة الثانية، أما القسم الثاني:

(وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآية : 8-9]

كذب أنه مخلوق للجنة، آمن بالدنيا، آمن بمتعها، آمن بشهواتها، آمن بحظوظه المادية منها، آمن بالدنيا وليس غير الدنيا، هؤلاء ينتهي علمهم عند الدنيا كما قال الله عز وجل:

(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

[سورة الروم الآية : 7]

هؤلاء تنتهي آمالهم عند القبر، هؤلاء ينتهي كل نشاطهم في حياتهم الدنيا، هؤلاء أيقنوا بالدنيا وكفروا بالآخرة:

(وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآية : 8-9]

كذب أنه مخلوق للجنة، وآمن بالدنيا فقط، ولا شيء غير الدنيا، هذا الذي كذب بالحسنى على ماذا يبني تكذيبه؟ أنه استغنى عن طاعة الله، لماذا يطيع الله؟ لماذا يأتمر بما أمر الله؟ لماذا ينتهي عما عنه نهى

الله؟ هو تعلق بالدنيا، وجعل الدنيا نهاية آماله ومحط رحاله، قال: هذا النموذج الثاني أيقن أنه مخلوق للدنيا فقط، كذب بالحسنى، ولأنه كذب بالحسنى استغنى عن طاعة الله، لماذا الطاعة؟ لماذا البذل؟ لماذا التضحية؟ لماذا الانضباط؟ لماذا الاستقامة؟ لم يعبأ بكل هذا، رأى الدين فلكلوراً، ورأى الدين ثقافة قديمة، وتراثاً ليس غير، ولأنه آمن بالدنيا آمن بحظوظه من الدنيا، آمن أن الاستمتاع قمة النجاح في الدنيا، آمن أن المال قمة المجد في الدنيا، سعى إلى الدنيا بكل ما يملك:

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى*وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

[سورة الليل الآية : 8-9]

لما كذب بالحسنى استغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ، نموذجان لا ثالث لهما، قال تعالى:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى* وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى* فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

[سورة الليل الآيات : 1-10]

من كذب بالآخرة و بيوم الدين سيُيسر للعسرى :

الرد الإلهي: ما دام قد كذب بالآخرة، وكذب بيوم الدين، وكذب بالجنة، وآمن بالدنيا، رأى متاع الدنيا هو هدفه، وماله هو الوسيلة، أيقن بالدنيا وكفر بالآخرة، فاستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ، هذا الذي يبني مجده على أنقاض الناس، ويبني حياته على موتهم، ويبني غناه على فقرهم، ويبني ثقافته على محو ثقافتهم، هذا الإنسان الذي آمن بالدنيا الله عز وجل يرد عليه:

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

[سورة الليل الآية : 10]

أي سوف نسيره لغير ما خلق له لأنه آثر الدنيا، لأنه أصر عليها، لأنه كفر بالآخرة، لأنه استغنى عن طاعة الله، و استغنى عن كسب رضوان الله.

فلذلك أيها الأخوة، هذه الآية تبين أن البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم، لا يزيدون عن نموذجين؛ نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة، ونموذج آخر كفر بالآخرة وآمن بالدنيا، واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ، وأساء إلى خلق الله عز وجل، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة، وليس هناك نموذج ثالث.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الاولى - حديث الجمعة الديني - الحلقة2 : تفسير قوله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-05-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

النفس الإنسانية هي النفس الأولى عند الله عز وجل :

أيها الأخوة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يقول الله عز وجل في كتابه العزيز:

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا*وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا*وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا*وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا*وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[سورة الشمس الآيات :1-10]

نقف وقفة متأنية عند كلمة:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *أَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

هذه النفس الإنسانية هي النفس الأولى عند الله عز وجل، لأن الله عز وجل حينما قال:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)

[سورة الأحزاب الآية : 73]

كان الإنسان بهذا القبول وهذا الحمل المخلوق الأول عند الله عز وجل، فلذلك سخر الله عز وجل له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، هذا الإنسان هو المخلوق الأول، فطره فطرة رائعة، جبله أو فطره أو بتعبير معاصر برمجه على نمط عجيب، أن هذا الإنسان إذا أخطأ، أو ارتكب خطأً، يكشف خطأه بذاته، وهذا ما يسمى بالفطرة، فطرته سليمة تتوافق مع منهج الله توافقاً عجيباً، توافقاً تاماً، فالنفس حينما تنحرف عن منهج الله عن وعي أو عن غير وعي، عن إرادة أو عن غير إرادة، هذا الانحراف تكشفه هي بذاته:

((وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ))

[مسلم عن النَّوَّاس بْن سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ]

مرة سمعت أن فندقاً في ألمانيا كتب على السرير: إذا لم تنم هذه الليلة فالعلة ليست في فراشنا إنها وثيرة ولكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة.

الإنسان حينما يصطلح مع الله يشعر بسعادة لا توصف :

هذا الإنسان مبرمج، أو مفطور، أو مجبول، على أنه يكتشف خطأه بذاته، وهذا معنى قوله تعالى:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

[سورة الشمس الآيات : 7-8]

الإنسان حينما يطيع ربه، وحينما يصطلح معه، وحينما يطبق منهجه تطبيقاً دقيقاً، وحينما لا يبني مجده على أنقاض الآخرين، ولا يبني حياته على موتهم، ولا غناه على فقرهم، حينما يستقيم على أمر الله، يصطلح مع نفسه، يجد نفسه، يشعر بسعادة لا توصف:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

[سورة فصلت الآية : 20]

ما معنى

(أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

؟ أنت الآن في مأمن من الخوف من المستقبل،

(أَلَّا تَخَافُوا)

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا)

[سورة التوبة الآية : 51]

وألا تحزن على الماضي، ما مضى فات والمؤمل غيب، الغيب لا تملكه، ولك الساعة التي أنت فيها، فلذلك هذا الإنسان حينما يصطلح مع الله يشعر بسعادة لا توصف:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

[سورة فصلت الآية : 20]

الآية التالية تؤكد تطابق منهج الله مع فطرة الإنسان :

لأن هذا الإنسان برمجه الله، بل جبله، بل ولفه ـ إن صحّ التعبير ـ على أنه يكتشف خطأه بذاته، فحينما يصطلح مع الله، وينضبط بمنهجه، يصطلح أيضاً مع فطرته، ومع نفسه، والآية الدقيقة جداً التي تؤكد تطابق منهج الله مع فطرة الإنسان قوله تعالى:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)

[سورة الروم الآية : 30]

والآية الثانية التي نحن بصددها الآن:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

[سورة الشمس الآيات : 7-8]

أنت مفطور فطرة عالية، أنت مبرمج برمجة راقية، أنت مولف توليفاً رائعاً، أنت حينما تخطئ أنت وحدك تكتشف هذا الخطأ، لذلك :

((وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ))

[مسلم عن النَّوَّاس بْن سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ]

فالإنسان يكشف خطأه بنفسه.

الإنسان فُطر فطرة عالية تتطابق مع منهج الله تطابقاً تاماً :

إذاً:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

[سورة الشمس الآيات : 7-8]

ألهمها ذاتياً، لكن لا أتمنى عليكم إطلاقاً أن تفهم الآية على غير ما أرادها الله، الله عز وجل فطرها فطرة عالية، بحيث لو أخطأت اكتشفت هي بذاتها من دون توجيه، أو إرشاد، إلى أنها قد أخطأت، وهذا ما يسمى بالفطرة، والإنسان فطر فطرة عالية تتطابق مع منهج الله تطابقاً تاماً:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)

[سورة الروم الآية : 30]

الله عز وجل ألهم النفس أن تكشف خطأها ذاتياً دون توجيه أو إرشاد :

لذلك:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

أي ألهمها ذاتياً، لذلك:

(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)

[سورة القيامة الآيات : 14-15]

قالوا: يمكن أن تخدع بعض الناس لكل الوقت، ويمكن أن تخدع كل الناس لبعض الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت هذا مستحيل وألف ألف ألف مستحيل، الله عز وجل يقول:

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)

[سورة آل عمران الآية : 179]

هذه حقيقة رائدة لذلك لا بد من الامتحان:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

الله عز وجل يضع الإنسان في ظرف دقيق جداً، هذا الظرف الدقيق جداً يكشف حقيقته، هو يدعي ما يشاء، يقول ما يشاء، يوهم الناس بما يشاء، لذلك يمكن أن تخدع بعض الناس لكل الوقت، ويمكن أن تخدع كل الناس لبعض الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت هذا مستحيل وألف ألف ألف مستحيل، أما أن تخدع الله، أو أن تخدع نفسك لثانية واحدة هذا مستحيل وألف ألف ألف مستحيل، لذلك:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

النجاح و الفلاح :

الآن :

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)

[سورة الشمس الآية : 9]

ألفنا أن النجاح محبب، الإنسان قد ينجح في دراسته، قد ينال درجة عليا في العلم، قد يجمع أكبر ثروة في الدنيا، قد يوفق إلى زوجة صالحة، قد يستمتع بالحياة الدنيا، قد يكون صحيحاً لا يشكو مرضاً، هذه كلها من عطاءات الدنيا، لكن الله عز وجل حينما يقول:

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ)

نسمي تحقيق الأهداف في الدنيا نجاحاً، نسمي القدرة على جمع الأموال نجاحاً، والقدرة على اعتلاء منصب مرموق نجاحاً، ونسمي القدرة على الاستمتاع بالحياة نجاحاً، هذا بمقاييس الأرض، ولكن ما هو الفلاح؟ الفلاح أن تنجح في الآخرة، أن تنجح في دخول الجنة، لذلك قال العلماء ـ فرقوا بين النجاح والفلاح ـ: النجاح متعلق في الدنيا، أما الفلاح فيتعلق في الدنيا والآخرة معاً، النجاح أن تنجح في شأن من شؤون الدنيا، أما الفلاح أن تنجح في تحقيق الهدف الذي خلقت من أجله، هذا هو الفلاح لذلك:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)

[سورة المؤمنون الآيات : 1-2]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)

[سورة الأعلى الآيات : 15-16]

قد أفلح كل من عرف الله عز وجل، واستقام على أمره: :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ)

النجاح مع الله عز وجل :

النجاح المطلق، النجاح الكبير، نهاية التفوق، نهاية النجاح، أن تعرف الله، ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحبّ إليك من كل شيء.

كيف تنجح مع الله؟ هذا الكون جعله الله قرآناً صامتاً، وهذا القرآن جعله الله كوناً ناطقاً، وأمامك نموذج بشري أول هو النبي عليه الصلاة والسلام، جعله الله قرآناً يمشي، فأنت إذا تعرفت على الله من خلال آياته الكونية، ومن خلال آياته القرآنية، ومن خلال آياته التكوينية، آياته التكوينية أفعاله، وآياته الكونية خلقه، وآياته القرآنية كلامه، فأنت إذا تعرفت إلى الله من خلال آياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته القرآنية، وعرفت أن الله عز وجل واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، عرفت أن الله خالق، ومرب، ومسير، عرفت أن الله موجود، وواحد، وكامل، عرفت أسماءه الحسنى، وصفاته الفضلى، أنت حينما تعرف ذلك تستقيم على أمره، وإذا استقمت على أمره أقبلت عليه، وإذا أقبلت عليه منحك الكمال البشري.

من ذكره الله منحه نعم لا تعد و لا تحصى :

لذلك ذكر الله لك أكبر من ذكرك له:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت الآية : 45]

ذكر الله لك، إن ذكرك منحك نعمة الأمن، منحك الرضا، منحك السكينة، منحك الوقار، منحك التوفيق، منحك بيتاً ناجحاً، منحك أسرة رائعة، منحك سمعة طيبة، لذلك:

((استقيموا، ولن تحصوا))

[ابن ماجه عن ثوبان]

لن تحصوا الخيرات،

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

الفلاح يجمع بين الدنيا والآخرة، الفلاح هو أن تحقق الهدف الذي خلقك الله من أجله،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

زكى نفسه حينما عرفها بربها، وزكى نفسه حينما حملها على طاعته، وزكى نفسه حينما تقربت نفسه إلى الله بالأعمال الصالحة، وزكى نفسه حينما اتصل بالله عز وجل،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

دنسها بالمعاصي، والآثام، والانحرافات، دنسها بالبعد عن الله، دنسها بالتعاون مع الشيطان،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط :

أيها الأخوة الكرام، النجاح محبب، ولكن المشكلة في الجهل، بل إن أزمة أهل النار و هم في النار هي أزمة علم فقط، والدليل :

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك الآية : 10]

من هنا أقول: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل، طالبُ العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الاولى - حديث الجمعة الديني - الحلقة3 : تفسير قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-06-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

العبادة علة وجود الإنسان في الأرض :

أيها الأخوة ، يقول الله عز وجل في كتابه العزيز:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

[سورة الجمعة: 9-10]

بادئ ذي بدء: الله جلّ جلاله يخاطب عامة خلقه بأصول الدين، فيقول مثلاً:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة البقرة : 21]

العبادة علة وجودنا في الأرض:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات: 56]

العبادة غاية الطاعة، وغاية الحب، تحتاج إلى علم يقيني، وتنتهي بسعادة أبدية في الدنيا والآخرة.

مخاطبة الله عامة الناس بأصول الدين و المؤمنين بفروع الدين :

لذلك ربنا جل جلاله يخاطب عامة الناس بأصول الدين:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)

[سورة البقرة: 21]

لكنه يخاطب المؤمنين بفروع الدين، لأن هذا المؤمن إنسان، لكنه آمن بالله خالقاً، وآمن به رباً رحيماً، وآمن به مسيراً حكيماً، آمن بوجوده، آمن بوحدانيته، آمن بكماله، آمن بأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، آمن برحمته، بعلمه، بقدرته، بغناه، بكل صفات الكمال، فلذلك الله عز وجل إذا خاطب المؤمنين خاطبهم بفروع الدين، بافعل ولا تفعل، بالمنهج الذي جعله لهم أداة لسلامتهم وسعادتهم، لأن الله عز وجل وحده يعلم أسباب سلامتنا وسعادتنا، هو الخالق العظيم، هو الخبير العليم، قال تعالى:

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

[سورة فاطر: 19]

عظمة هذا الدين أن فيه عبادة تعليمية تغذي عقل الإنسان بالعلم :

الإنسان أعقد آلة في الكون، هذا التعقيد تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، لهذه الآلة البالغة التعقيد صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، فانطلاقاً من حرص الإنسان على سلامته، وعلى سعادته، ينبغي أن يستجيب لنداء ربه، لذلك المؤمن الصادق إذا قرأ القرآن وقرأ قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا)

[سورة الجمعة: 9]

يعلم علم اليقين بل يعلم بكل خلية من جسمه، وبكل قطرة من دمه، أنه معني بهذا الخطاب، كأن الله يخاطبك يقول: يا أيها العبد المؤمن، يا من آمنت بي، افعل أو لا تفعل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ)

[سورة الجمعة: 9]

عظمة هذا الدين أن فيه عبادة تعليمية، هذه العبادة التعليمية الإنسان يحتاج إلى أن يغذي عقله بالعلم، وإلى أن يغذي قلبه بالاتصال بالله، الإنسان يشبه ـ إن صح التعبير ـ هذا الهاتف المحمول، لا بدّ من أن يشحن، لا بدّ من أن يشحن شحنة علمية تنير له الطريق، وشحنة قلبية روحية تحفزه على السير في هذا الطريق، شحنة علمية لتزداد قناعاته، وشحنة روحية لتزداد همته، إذاً الله عز وجل أراد لنا أن نشحن كل أسبوع شحنة علمية روحية.

على الإنسان أن يأتي إلى صلاة الجمعة قبل أن يصعد الخطيب المنبر :

في الوقت نفسه قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة: 9]

وقد ارتأى المفسرون أن ذكر الله أي الخطبة، قد يتوهم بعضهم أنه إذا أدرك صلاة الجمعة فقد أدرك الجمعة، هو أدرك الصلاة ولم يدرك ذكر الله، لأن الخطيب في هذه الخطبة سيذكر الله عز وجل، يذكر آياته القرآنية، وآياته الكونية، سيذكر آياته التكوينية، يتحدث عن رسوله، عن بعض التوجيهات، عن بعض الحلال والحرام، قد يأتي بقصة، قد يأتي بموضوع علمي، يؤكد عظمة هذا الدين، فهذا الذكر هو الدعوة إلى الله، وهذه الصلاة صلاة الجمعة كما ورد في بعض الأحاديث: " من تركها من دون عذر نكتت نكتة سوداء في قلبه"، لذلك المؤمن يحتاج إلى شحن، الحقيقة أن المؤمن يشحن خمس مرات في

الصلوات الخمسة، وكل شحنة روحية تكفي إلى الفرض الثاني لكنه يشحن شحنة دسمة كل أسبوع في صلاة الجمعة لذلك قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة: 9]

أيها الأخوة الكرام، مرة ثانية ذكر الله ينبغي أن تأتي قبل أن يصعد الخطيب المنبر:

((.. ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ذكر الله عز وجل أكبر ما في الصلاة :

أيها الأخوة الأحباب:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

[سورة الجمعة: 9]

المؤمن الصادق حينما يقرأ هذه الآية يشعر يقيناً أنه المعني بهذه الآيات، وكأن الله جلّ في علاه يخاطبه، كأنه يقول له: يا عبدي تعال إلى بيتي، إنّ بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوّارها هم عمّارها، فطوبى لِعَبْد تطهّر في بيته ثمّ زارني، وحُقّ على المزور أن يُكْرم الزائر، الله عز وجل حينما يكرم زواره في بيوته بماذا يكرمهم؟ ورد في بعض الأحاديث أن الله عز وجل حينما قال:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

قال العلماء: ذكر الله أكبر ما في الصلاة.

الحكمة من أعظم عطاءات الله عز وجل وهي تكون في الصلاة :

لكن ابن عباس رضي الله عنه يرى أن ذكر الله للعبد وهو في الصلاة، وهو في بيت من بيوت الله، أكبر من ذكر العبد لربه، ذلك أن الله عز وجل إذا ذكر عبده وهو يصلي منحه الحكمة:

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

[سورة البقرة: 269]

الحكمة ضالة المؤمن، أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى، أنت بالحكمة تجعل الأعداء أصدقاء، من دون حكمة تجعل الأصدقاء أعداء، أنت

بالحكمة تتدبر أمرك بدخل محدود، ومن دون حكمة تبدد المال الكثير، فكأن الحكمة من أعظم عطاءات الله عز وجل، إنها تكون في الصلاة:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

الله تعالى إذا ذكر المؤمن في الصلاة منحه الأمن و الحكمة :

إن الله سبحانه وتعالى إذا ذكر المؤمن في الصلاة منحه الحكمة، منحه الأمن:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام: 81-82]

إذاً إذا سعيت إلى ذكر الله عز وجل فالله يذكرك:

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)

[سورة البقرة: 152]

ذكر الله لك يعني أن تتمتع بنعمة الأمن، ذكر الله لك يعني أن تتمتع بنعمة الحكمة، ذكر الله لك يعني أن تتمتع بنعمة الرضا، راضٍ عن الله، ذكر الله لك يعني أن توفق في عملك، أن تسعد في بيتك، أن تتألق في مجتمعك، ذكر الله لك شيء كبير:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة: 9]

لا بدّ من وقت مخصص لذكر الله، لا بدّ من وقت تقضيه في بيت من بيوت الله، لا بدّ من ساعة تناجي بها ربك، لا بدّ من ساعة تحاسب بها نفسك، لا بدّ من عمل تقوم به في حرفة ترتزق من خلالها، فالمؤمن يوزع وقته بين حاجاته الأساسية في الدنيا والآخرة، والمؤمن ينظم وقته، إذاً :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة: 9]

صلاة الجمعة شحنة روحية تمد الإنسان

براحة نفسية واتصال بالله :

لكن الله عز وجل يقول:

(وَذَرُوا الْبَيْعَ)

[سورة الجمعة: 9]

البيع يكون خارج هذا الوقت، هذا وقت الاتصال بالله، هذا وقت ذكر الله، هذا وقت سماع الخطبة، هذا وقت الاتصال بالله، هذا وقت تشحن به شحنة روحية، لعلها تمدك بقوة على طاعة الله، تمدك براحة نفسية، تمدك بإرادة قوية، تمدك بالاتصال بالله، هذه الشحنة لا بدّ منها كل أسبوع:

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[الترمذي عَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ]

أيها الأخوة الكرام، هذه الآية الكريمة تحتاج إلى دقة بالغة في الفهم، وإلى إرادة قوية في التطبيق.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الاولى - حديث الجمعة الديني - الحلقة4 : تفسير قوله تعالى أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-07-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهو مرضٌ خطير يغفل فيه الإنسان عن علة وجوده وغاية وجوده :

أيها الأخوة ، في القرآن الكريم سورةٌ قصيرة، لكنها خطيرة، يقول الله عز وجل:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

[سورة التكاثر]

الحقيقة ماذا تعني كلمة اللهو ومنها ألهاكم؟ اللهو؛ أن يشتغل الإنسان بالشيء الخسيس ويُضيع الشيء النفيس، فالذي يغوص في البحر، قد يأتي بالأصداف، وينسى اللآلئ، فالذي يلهو أي أنه اشتغل بالخسيس وترك النفيس، ما النفيس؟ النفيس أن نعرف سرّ وجودنا في الدنيا، أن نعرف أن هذه الدنيا جاء الله بنا إليها من أجل أن نؤمن به أولاً، وأن نعمل عملاً نتقرب به إليه ثانياً، وأن يكون هذا العمل ثمن دخول الجنة، فالذي يأتي إلى الدنيا، وينسى سرّ وجوده فيها، وغاية وجوده، ويغوص في متع الحياة، وفي جمع المال، وما سوى ذلك، هذا الإنسان غفل عن علة وجوده، وعن غاية وجوده، وقد ذكرنا ربنا بأن الإنسان خُلق ليعبد الله، فقال:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات]

لذلك اللهو مرضٌ خطير، وقد يكون مرضاً خطيراً مهلكاً،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

مغادرة الدنيا أخطر حدثٍ في المستقبل فبطولة الإنسان أن يعيش المستقبل :

والإنسان أحياناً أيها الأخوة يحاول أن يرتزق بحرفةٍ، أو بمهنةٍ، أو بوظيفةٍ، أو بشهادةٍ، أو إلى ما هناك، ولكن حينما يحقق رزقه الذي يطمح إليه، ينتقل إلى مرحلة ثانية، هي الجمع، جمع الأموال، المنافسة في جمع الأموال، وقد قال الله عز وجل:

(وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

[سورة الزخرف]

لأن هذا الذي نجمعه في الدنيا منوطٌ بضربات القلب، منوطٌ بسيولة الدم، منوطٌ بنمو الخلايا نمواً طبيعياً، فإذا توقف القلب، كل الذي نملكه صار إلى غيرنا، وإذا تجمد الدم في بعض العروق، كل الذي نزهو به أصبح لغيرنا، وإذا نمت الخلايا نمواً عشوائياً انتهت حياتنا، فلذلك الإنسان في قبضة الله، بثانية واحدة يصبح خبراً بعد أن كان رجلاً، يصبح خبراً على الجدران.

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والـــجبروت

والليل مهما طـــال فلا بد من طلوع الفـــجر

والعمر مهما طـــال فلابد من نزول الـــقبر

* * *

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

فــإذا حملت إلى القبور جنازة فــاعلم أنك بعدها محمول

* * *

أيها الأخوة الكرام: الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، ما من يومٍ ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم، أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

((قال رجل : يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، قال: يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال : نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت))

[ابن مردويه عن ابن مسعود]

هذه النهاية الحتمية، مصير بني البشر جميعاً، ولابد منها، فالبطولة أن تعيش المستقبل، لا أن تعيش الماضي، الأغبياء وحدهم يتغنون بالماضي، لكن الأقل غباءً يعيشون الحاضر، بينما الأذكياء والموفقون يعيشون المستقبل، وأخطر حدثٍ في المستقبل مغادرة الدنيا.

بطولة الإنسان أن يعد للآخرة ويستفيد من حياته في الدنيا :

لذلك الله عز وجل يصف هؤلاء الذين شردوا عنه فيقول:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

ألهاكم جمع المال، ألهاكم جمع ما توافر لديكم من متع،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

وماذا بعد التكاثر؟ الموت، ماذا بعد جمع المال؟ ماذا بعد ارتقاء كل ما تطمح إليه؟ تنتهي الحياة بالموت، والموت نهاية كل حي، لذلك البطولة أن تعد للحياة القادمة، أن تعد للآخرة، البطولة أن تستفيد من حياتك في الدنيا، لإعداد حياةٍ في الآخرة، تنعم بها نعيماً مقيماً دائماً،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

لو أن الإنسان وازن بين بيته وبين القبر، بين بيتٍ مؤلفٍ من غرفٍ كثيرة، وأجهزةٍ عديدة، وزوجةٍ، وأولاد، وأصدقاء، وأصحاب، وبين أن ينزل وحده في القبر، ماذا في القبر؟ إن أصعب ليلةٍ يقضيها الإنسان في قبره: " ينادى: أن يا عبدي، رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت ".

الإنسان خاسر لأن مضي الزمن وحده يستهلكه :

أيها الأخوة، الإنسان حينما يتأقلم مع حدث الموت، حينما يتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً، حينما يعد لما بعد الموت العمل الصالح، يعد لما بعد الموت الإنفاق في سبيل الله، يعد لما بعد الموت طلب العلم، يعد لما بعد الموت تربية أولاده، يعد لما بعد الموت إنفاق ماله في وجوه الخير، يكون إنساناً موفقاً جداً، فلذلك الله عز وجل أقسم بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول، الذي هو في حقيقته زمن، أقسم له وقال:

(وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر]

فالإنسان خاسر، لأن مضي الزمن وحده يستهلكه، لذلك الله عز وجل كأنه يعاتبنا يقول:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)

ألهاكم جمع المال، جمع الدرهم، والدينار، ألهاكم أن تغوصوا في المباحات،

(حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

المقابر، القبر معروف، ماذا في القبر؟ لا ينزل مع الإنسان إلى قبره إلا عمله الصالح، يترك دنياه كلها بثانيةٍ واحدة، ويصبح أسير عمله الصالح:

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ)

[سورة المدثر]

بطولة الإنسان أن يؤمن بالله العظيم قبل فوات الأوان :

أيها الأخوة الكرام،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)

وعند الموت يعلم الإنسان علم اليقين حقيقة الدنيا، بل إن أكثر كفار الأرض فرعون الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات]

والذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص]

فرعون حينما أدركه الموت قال:

(آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

[سورة يونس الآية: 90]

قال:

(آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ)

[سورة يونس الآية: 91]

خيار الناس مع الإيمان خيار وقت فقط :

هناك تعليقٌ دقيق وهو: أن الإنسان له خيارات لا تعد ولا تحصى في موضوعاتٍ لا تعد ولا تحصى، لكن خياراته في هذه الموضوعات خيارات قبول أو رفض، إلا أنه في موضوع واحد خياره ليس خيار قبولٍ أو رفض، بل هو خيار وقت، موضوع الموت، فالإيمان بالله عند مغادرة الدنيا لا ينفع صاحبه، هذا الإيمان جاء بعد فوات الأوان، والبطولة أن تؤمن قبل فوات الأوان، أن تؤمن في الوقت المناسب، في وقتٍ تستثمر وقتك في العمل الصالح، لأن هذا الوقت هو أنت، أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضعٌ منك، هذا الوقت هو أنت، إنك بضعة أيام، وأسابيع، وأشهر، فلذلك:

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والـــجبروت

والليل مهما طـــال فلا بد من طلوع الفـــجر

والعمر مهما طـــال فلابد من نزول الـــقبر

* * *

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

فـإذا حملت إلى القبور جنازة فـاعلم أنك بعدها محمول

* * *

على الإنسان ألا يسعى للدنيا الزائلة و ينسى الآخرة الباقية :

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا)

هذه أداة ردع ونفي، إياك أن تكون غافلاً، إياك أن تكون لاهياً، إياك أن تسعى لدنيا زائلة، وتنسى الآخرة الباقية،

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)

لابد من أن يعرف الإنسان الحقيقة عند الموت، قال تعالى:

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

[سورة ق]

لذلك الحقيقة التي جاء بها الأنبياء يعلمها كل البشر عند الموت، ولكنهم يعلمونها بعد فوات الأوان، لم يبقَ إلا الندم:

(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)

[سورة الفجر]

(يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)

[سورة الفرقان]

(لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً)

[سورة الفرقان]

أيها الأخوة الكرام، هذه السورة:

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الاولى - حديث الجمعة الديني - الحلقة5 : تفسير قوله تعالى يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-08-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

تلاوة القرآن حق تلاوته تكون بـ:

1 ـ قراءته وفق قواعد اللغة العربية:

أيها الأخوة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الله عز وجل يصف المؤمنين حينما يقرؤون القرآن، يصفهم ويقول:

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

[سورة البقرة الآية:121]

ما معنى حق التلاوة؟ كيف نتلو القرآن حق تلاوته؟ العلماء يقولون: حق التلاوة أن تقرأه وفق قواعد اللغة العربية، لأن القرآن عربي، ولأن لغة أهل الجنة هي العربية كما ورد في بعض الآثار، وحق التلاوة يعني أن تتعلم العربية، ويقول سيدنا عمر رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها من الدين". فمن حق تلاوة القرآن أن تقرأ القرآن وفق قواعد اللغة العربية، إذا قرأت قوله تعالى مثلاً:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية:28]

لو رفعت لفظ الجلالة لوقعت في خطأ كبير جداً، العلماء يخشون الله وليس العكس،

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ)

لفظ الجلالة: مفعول به مقدم،

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

فاعل مؤخر، فلابدّ من متابعة دقائق اللغة العربية كي تتلو القرآن،

(حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

2 ـ قراءته وفق قواعد التجويد:

وبعد أن تقرأه وفق قواعد اللغة العربية، ينبغي أن تقرأه إن أمكن وفق قواعد التجويد، فتأتي بالإدغام، بالإقلاب، وبالإظهار، وبالمدود، وهذا من كمال قراءة القرآن.

3 ـ فهمه:

شيء آخر: معنى

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

أن يفهموه، إن هذا القرآن نزل إلى البشر ليفهموه وليكون منهجاً لهم، ليكون سبب سلامتهم وسعادتهم، ليكون سبب رقيهم عند ربهم، إنه كتاب خالق الأكوان، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، لأن هذا الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام الذي شرح هذا القرآن بأحاديثه الشريفة قرآن يمشي، فلما سُئلت السيدة عائشة عن خلق النبي الكريم قالت: "كان خلقه القرآن".

4 ـ تدبره:

إذاً

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

يتلونه وفق قواعد اللغة العربية، ووفق علم قواعد التجويد إن أمكن، ثم يفهمونه، لكن يشير علماء التفسير إلى شرط آخر هو التدبر، أخذاً من قوله تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

[سورة محمد الآية:24]

ما معنى التدبر؟ أنك إذا قرأت هذه الآية أين أنت منها؟ هل أنت مطبقٌ لها؟ هل أنت لا تعنيك هذه الآية لا سمح الله؟ هل تعنيك؟ هل أنت في مستوى هذه الآية؟ هل أنت مطبق لها جزئياً أم كلياً؟ هل أدخلت هذه الآية في برنامجك اليومي؟ أين أنت من هذه الآية؟ هذا هو التدبر.

على كلّ إنسان أن يقف من كل آية موقفاً وهذا الموقف هو ثمرة تلاوة القرآن:

لذلك أقول لكم أيها الأخوة الكرام: ما من آية تقرأها في القرآن الكريم إلا وينبغي أن يكون لك موقف، هذا الموقف هو ثمرة تلاوة هذا القرآن، لذلك:

((مَا آمَنَ بالقرآنِ مَن استحلَّ مَحَارِمَهُ))

[أخرجه الترمذي عن صهيب الرومي]

رب تال للقرآن والقرآن يلعنه،

((مَا آمَنَ بالقرآنِ مَن استحلَّ مَحَارِمَهُ))

هذا القرآن كلام خالق الأكوان، هذا القرآن منهج الرحمن، هذا القرآن دستور الإنسان، هذا القرآن فيه افعل ولا تفعل، هذا القرآن سبب سعادة الإنسان، بل سبب سلامته، وعلى وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان، ما منهم واحد من دون استثناء إلا وهو حريص حرصاً لا حدود له على سلامته، وعلى سعادته، حرصه على سلامته يقتضي أن يتبع تعليمات الصانع، فالإنسان أعقد آلة في الكون، وله صانع حكيم هو خالق الأكوان، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة.

إذاً القرآن الكريم يتلوه المؤمن

(حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

يتلوه وفق قواعد اللغة العربية، ويتلوه وفق قواعد علم التجويد إن أمكن، ثم يفهمه فهماً دقيقاً من خلال أقوال النبي الكريم، ومن خلال فهم الصحابة الكرام له، ويفهمه أيضاً فهماً آخر بمعنى أنه يراجع نفسه مع كل آية أين هو منها؟ هذا هو التدبر، فالتدبر أن تقف من كل آية موقفاً، إذا أمرك الله أن تكون صادقاً ينبغي أن تكون صادقاً، إذا أمرك أن تكون أميناً ينبغي أن تكون أميناً، إذا أمرك أن تصلي ينبغي أن تصلي، كل أمر في القرآن يقتضي الوجوب.

الدين منهج تفصيلي يسير مع الإنسان في كلّ أمور حياته:

أحياناً يتوهم بعض المسلمين أن الدين خمس عبادات، صلاةٌ، وصيامٌ، وحج، وزكاة، والحقيقة التي تعد ثابتة حقاً أن الدين منهج تفصيلي، يبدأ من أخصّ خصوصيات الإنسان، من فراش الزوجية، وينتهي بالعلاقات الدولية، منهج لكل شؤون حياتك، يكون معك في السراء وفي الضراء، في كل أحوالك، هذا المنهج التفصيلي لا بدّ من أن تجعله منهجاً في حياتك.

لذلك قيل: الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، و النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، فلذلك حينما نقرأ هذا القرآن لا بدّ من موقف تجاه أي آية.

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب وكل نهي يقتضي الترك:

الآن إذا قرأنا آية فيها أمر إلهي:

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)

[سورة البقرة الآية:83]

أمر، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، فهذه الآية تقتضي أن نقول للناس حسناً، فإذا قرأنا آية فيها نهي:

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً)

[سورة الحجر الآية:88]

ينبغي ألا تمد عيناك إلى من لا تحل لك، هذه آية قرآنية.

أيها الأخوة، كل أمر يقتضي الوجوب، وكل نهي يقتضي الترك، فاسأل نفسك مع كل آية تقرأها أين أنت منها؟ واسأل نفسك مع كل نهي نهى الله عنه:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)

[سورة الإسراء الآية:36]

أين أنت من هذه الآية؟ هذا هو التدبر، وهذا معنى قوله تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)

هذا هو التدبر، إذا قرأت آية فيها وصف لحال أهل الجنة ينبغي أن تسعى لبلوغ الجنة، وإذا قرأت آية فيها وصف لحال أهل النار نعوذ بالله من أهل النار، ينبغي أن تفر من النار، أن تبتعد عنها بالطاعة، بالعمل الصالح، وإذا قرأت آية تتحدث عن أقوام سابقين أهلكهم الله عز وجل ينبغي أن تتعظ.

التفكر في خلق السماوات والأرض أرقى عبادة يتعبد بها الإنسان ربه:

لكن سؤالي اليوم يتوجه إلى موضوع خاص، في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون والإنسان، ما موقفك من هذه الآيات؟ آية الأمر تأتمر، آية النهي تنتهي، آية الجنة تسعى إلى الجنة، آية وصف أحوال أهل النار تفر من النار، آية الأقوام السابقين تتعظ، إذا قرأت آية كونية:

(وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ)

[سورة الفجر]

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)

[سورة الشمس الآية:1]

هذه الآيات الكونية التي تزيد عن ألف وثلاثمئة آية وردت في القرآن الكريم ما موقفك منها؟ الموقف تذكره آية كريمة هي قوله تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران]

الآن أيها الأخوة المشاهدون دققوا:

(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

فالتفكر في خلق السماوات والأرض أرقى عبادة يتعبد الإنسان بها ربه، لأن هذه العبادة تضعه وجهاً لوجه أمام عظمة الله، لأن هذه العبادة تعد أوسع طريقٍ تدخل به إلى الله، وتعد أقصر طريق تصل من خلالها إلى الله،

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

أيها الأخوة المشاهدون، حينما تفتحون القرآن لتقرؤوه ـ ونحن على مشارف رمضان ـ حينما تفتحون القرآن لتقرؤوه وصلتم إلى آيات كونية، ينبغي أن تكون هذه الآيات الكونية منهجاً لكم في التفكر في خلق السماوات والأرض، لأن التفكر في خلق السماوات والأرض أقرب طريق إلى الله، وأوسع بابٍ ندخل منه على الله، لأنه يضعكم وجهاً لوجه أمام عظمة الله.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس